

﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ
أَعْمَلَهُمْ﴾ (٢٨) [محمد: 27 - 28]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

لَمَّا بَيَّنَّتِ الْآيَاتُ السَّابِقَةُ رَدَّةَ الْمُنَافِقِينَ عَنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاتِّبَاعَهُمْ مَا أَسْخَطَ اللَّهَ، وَقَبُولَهُمْ لَطَاعَةَ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودِ، كُلُّ ذَلِكَ بَسْرٌ وَخَفَاءٌ، وَبَيَّنَّتْ إِحَاطَةَ عِلْمِهِ تَعَالَى بِهِمْ؛ أَتْبَعَهُ إِحَاطَةُ قُدْرَتِهِ بِهِمْ⁽¹⁾، وَمَا سَيَلِحَتْهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْهَلَعِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، سِوَا مَا كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ مَوْتِهِمْ، أَمْ عِنْدَ فِرَارِهِمْ مِنَ الْقِتَالِ⁽²⁾.

الفرار من القتال
في سبيل الله
يُنَاسِبُهُ الْإِخْبَارُ
بِمَيَّةِ السَّوَاءِ

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿تَوَفَّتْهُمُ﴾: وَفَى الْكَيْلُ، وَوَفَى الشَّيْءُ أَي: تَمَّ، وَأَوْفَيْتُهُ أَنَا أَتَمَمْتُهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ [الإسراء: 35]، وَأَوْفَى الرَّجُلَ حَقَّهُ، وَوَفَّاهُ إِيَّاهُ بِمَعْنَى: أَكْمَلَهُ لَهُ، وَأَعْطَاهُ وَافِيًّا، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ﴾ [النور: 39]⁽³⁾، وَ"الْوَفَاةُ الْمَوْتُ"⁽⁴⁾، وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى: أَمَاتَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: 42]، وَأَصْلُهُ اسْتِيفَاءُ الْعَدَدِ، أَي: يَسْتَوْفِي عَدَدَ أَيَّامِهِ وَأَنْفَاسِهِ وَأَرْزَاقِهِ"⁽⁵⁾، فَمَعْنَى ﴿تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾: قَبَضَتْ أَرْوَاحَهُمْ عِنْدَ اسْتِيفَائِهِمْ أَجَالَهُمْ.

(2) ﴿أَسْخَطَ﴾: يُقَالُ: أَسْخَطَ يُسْخِطُ إِسْخَاطًا، فَهُوَ مُسْخِطٌ،

(1) البقاعي، نظم الدرر: 249 / 18.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 118 / 26.

(3) ابن منظور، لسان العرب: (وفى).

(4) ابن سيده، اللخصص: (وفى).

(5) النسفي، طلبة الطلبة، ص: 54.

والمفعول مُسَخَطٌ، وأسخط فلاناً: أغضبه، وأغاضه، وأسخط والديه بتصرفاته، ولا تفعل ما يُسخط الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَشْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾⁽¹⁾، فمعنى «أَسَخَطَ اللَّهُ»: فعل ما يغضبه سبحانه، وأتى ما يوجب عقابه ﷺ.

(3) ﴿رِضْوَانَهُ﴾: رضيت الشيء، ورضيت به رضاء: اخترته، وارتضيته مثله، ورضيت عن زيد، ورضيت عليه، لغة لأهل الحجاز، والرِّضوان بكسر الراء وضمها لغة قيس وتميم بمعنى الرِّضا، وهو خلاف السُّخَط، وشيء مرضي أكثر من مرضو، وأرضيته إرضاء، وراضيته مراعاة ورضاء، مثل: وافقته موافقة ووفقاً وزناً ومعنى⁽²⁾. والمقصود بـ ﴿رِضْوَانَهُ﴾ هنا فعل ما يرضيه عزاً وعلا، فَعَبَّرَ بالمسبَّب وهو الرِّضوان، عن السَّبَب وهو الفعل، وعن الطَّبِيعِ: الرِّضوان: هو الرِّضا الكثير، ولما كان أعظم الرِّضا رضا الرَّحْمَنِ؛ خُصَّ لفظ الرِّضوان في القرآن بما كان من الله تعالى⁽³⁾، فقوله تعالى: ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾، أي: أبغضوا ما يحبه ﷺ، وما يختاره لهم، ويقبله منهم.

(4) ﴿فَأَحْبَطَ﴾: حَبَطَ حَبَطًا، وَأَحْبَطَهُ الضَّرْبُ، وَالْحَبَطُ: وَجَعٌ يَأْخُذُ الْبَعِيرَ فِي بَطْنِهِ مِنْ كَلَالٍ يَسْتَوِيلُهُ، وَقَدْ حَبَطَ حَبَطًا، فَهُوَ حَبِيطٌ، وَحَبِطَتِ الشَّاةُ حَبَطًا: انْتَفَخَ بَطْنُهَا عَنْ أَكْلِ الذَّرْقِ، وَحَبِطَ عَمَلُهُ حَبَطًا وَحُبُوطًا: فَسَدَ، وَاللَّهُ أَحْبَطَهُ، وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾⁽⁴⁾، أي: أفسدها، وأبطل أجزها.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

يتابع السياق الشريف الحديث عن المرتدين، وما ينتظرهم

أفصح ما عرف
البشر من أنواع
الموت ما جاء
بيانه في هذه الآية

(1) عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة: (سخط).

(2) الفيومي، الصباح للنير في غريب الشرح الكبير: (رضي).

(3) أبو البقاء، الكليات، ص: 478.

(4) ابن سيدة، الحكم والحيث الأعظم: (حبط).

من عقوبة تبدأ من أول مراحل اليوم الآخر، حال نزول الموت بهم، وأثناء معالجة ملائكة الموت ذلك، فكيف ستكون معاناتهم وشدة عذابهم والملائكة تضربهم ضرباً شديداً على أشرف شيء فيهم، وهو وجوههم، وتهينهم بالضرب على مؤخراتهم، فيُجمع عليهم العذاب المهين إلى العذاب الأليم؛ عقاباً لهم جزاء كرههم ما أنزل الله، وهروبهم من القتال في سبيله.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

نوع الفاء ودلالاتها:

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾؛ لترتيب ما بعدها على ما قبلها⁽¹⁾، أو تفرعية، تُفرع التعجب من تعذيب المرتدين، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند وفاتهم، على ما سبق من ارتدادهم، وقولهم للذين كرهوا ما أنزل الله تعالى: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾.

و"التفريع؛ لبيان ما سيلحقهم من العذاب عند الموت، وهو استهلال؛ لما يتواصل من عذابهم عن مبدأ الموت، إلى استقرارهم في العذاب الخالد.

ويجوز أن يكون التفريع على المحمل الثاني، وهو أن المراد الارتداد عن القتال، وتكون الفاء فصيحة، فيفيد: إذا كانوا فرّوا من القتال هلعاً وخوفاً؛ فكيف إذا توفّتهم الملائكة، أي: كيف هلعهم ووجلهم الذي ارتدوا بهما عن القتال، وهذا يقتضي شيئين: أولهما أنّهم ميتون لا محالة، وثانيهما أنّ موتهم يصحبها تعذيب، وهذا التعجب مؤذن بأنّها حالة فظيعة غير معتادة؛ إذ لا يُتَعَجَّب إلا من أمر غير معهود، والسياق يدلُّ على الفظاعة⁽²⁾.

يستهلّ النافقون
عذابهم
الأخرويّ بداية
من لحظة
الموت، ثمّ
يتواصل عليهم

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: 8/ 100.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 117.

غرض الاستفهام وبلاغته:

من رحمة الله
تعالى بالعباد
تعظيم أحوال
الموت وتهويلها

الاستفهام في جملة: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ﴾؛ للاستعظام والتهويل⁽¹⁾، والتعجب من شدة الإهانة والإيلام اللذين سيتجرعهما المنافقون المرتدون واليهود والمشركون عند حلول آجالهم من ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم. ففيه تخويف وتشديد⁽²⁾، وتفضيع وتبشيع لما ينتظرهم في أول مراحل الآخرة عند الموت، فحينئذٍ "كيف يعملون؟ وما حيلتهم حينئذٍ؟"⁽³⁾.

نكتة استعمال أداة ﴿إِذَا﴾ دون (إِنْ):

اللقطوع بوقوعه
هو الصورة
المذكورة في الآية
لا التوقي

جاء استعمال ﴿إِذَا﴾ دون (إِنْ) في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾؛ لمناسبته لمقام التوقي، والقطع ليس للتوقي؛ فلا يشكُّ أحدٌ بوقوعه، وإنما في كونه على الصورة المذكورة، وأنه لا شكَّ آتٍ، وكلُّ آتٍ قريب، فالجدير بأهل هذا الوعيد أن يثوبوا إلى الحقِّ، فإنَّ أحدًا لا يشكُّ في نزول الموت به أصلاً، وتأتي ﴿إِذَا﴾؛ لتوقظ الغافلين، وتقرع المعاندين، أمَّا (إِنْ)؛ فلا تتسق دلالتها مع هذا السياق المفعم بالتهديد والوعيد؛ لما فيها من تهوين الشكِّ وتضعيف الوقوع.

بلاغة للجاز بالحذف:

تقدير المحذوف
أحوالٌ عجيبة
ومواقف رهيبة

"﴿إِذَا﴾ متعلقٌ بمحذوف دلَّ عليه اسم الاستفهام، تقديره: كيف حالهم أو عملهم حين تتوفاهم الملائكة. وكثر حذف متعلق كيف في أمثال هذا مقدراً مؤخراً عن (كيف) وعن (إذا)، كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: 41]، والتقدير: كيف يصنعون، ويحتالون"⁽⁴⁾.

(1) طنطاوي، التفسير الوسيط: 242 / 13.

(2) الشوكاني، فتح القدير: 47 / 5.

(3) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 329 / 3.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 118 / 26.

دلالة التعبير بفعل التوفي مادة وصيغة:

التعبير بفعل التوفي في جملة «تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَكَةُ» يدل على استيفاء المرتد رزقه على التمام، وعلى حينونة⁽¹⁾ أجله المقدّر المؤجل له، وأن الله تعالى سيعطيهم كامل أجلهم، وتمام مدّتهم، ولن ينقصهم شيئاً منها بسبب ردّتهم، وفي صوغه ماضياً مع اقترانه بـ«إِذَا» دليل على وقوعه مستقبلاً، ولتصوير ما سيكون حين الوفاة.

بلغة التقييد بجملة الحال:

تقييد جملة: «تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَكَةُ» بجملة الحال في قوله تعالى: «يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ»؛ لأنها مناط التهديد والوعيد، وذلك أن أصل الخبر، وهو التوفية، فأمر مقرر لجميع الأحياء، فالغرض يكمن في القيد لا في أصل الخبر، وهذا ما قرره عبد القاهر الجرجاني من "أنه ما من كلام كان فيه أمر زائد على مجرد إثبات المعنى للشئ، إلا كان الغرض الخاص من الكلام، والذي يقصد إليه، ويرجى القول فيه"⁽²⁾.

ويقرر ذلك ورود توفي الملائكة بشارّة في مقام آخر، وذلك خاص بالمؤمنين، يقول الله تعالى: «الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» [النحل: 32]، فثبت أن مناط التهديد متعلق بضرب الملائكة وجوه المنافقين وأدبارهم.

بلغة مجيء الحال جملة:

قوله تعالى: «يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ» "حال من «الْمَلَائِكَةُ»، أو من ضمير المفعول؛ لأن في الكلام ضميراً يرجع إليهم"⁽³⁾، وجاء

(1) "الحين: وقت من الزمان، حان يحين حينونة، ويُجمع على الأحيان، ثم على الأحيين، وحينته جعلت له جيناً.

والحين: يوم القيامة"، ينظر: ابن عباد، اللحيط في اللغة: (حين).

(2) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 280.

(3) العكبري، التبيان في إعراب القرآن: 2/ 1164.

لن يُعاقب الله
المرتدين بتقصير
أعمارهم
وتقريب آجالهم

مناط التهديد
في القيد الخاص
بالمنافقين لا
بالفعل العام
لجميع الناس

إتاحة مجموعة
من الدلالات ما
لا تتيحها الحال
المفردة

الحال جملة لا مفرداً، فلم يقل: (فكيف إذا توفّتهم الملائكة ضاربين وجوههم)؛ لما تتميز به الجملة من التّنويه بتحقيق الوقوع عبّر صيغة المضارعة في ﴿يَضْرِبُونَ﴾، وما تقتضي به من تجدد ضرب وجوههم وأدبارهم، وتطاوله على المرتدين.

دلالة التعبير بمفردة الضرب:

جاء التعبير بمفردة الضرب في جملة: ﴿يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ﴾؛ ليدلّ على شدة المعاناة التي يُقاسيها هؤلاء المشؤمومون عند موتهم، فإنهم يُضربون ضرباً، فضرِبهم حقيقة غيبية نؤمن بها، وفي التعبير بالضرب "تصويرٌ لتوفيهِهم على أهول الوجوه وأفظعها، وإبراز لما يخافون منه، ويجبّون عن القتال لأجله؛ فإنّ ضرب الوجوه والأدبار في القتال والجهد ممّا يُتّقى"⁽¹⁾، فلمّا فرّوا من هذه الحال في القتال؛ كان جزاؤهم بها.

توجيه تخصيص الوجوه والأدبار بالذكر:

ضرب ملائكة الموت المنافقين فيما أخبرت به الآية يتناول الوجوه والأدبار، والأصل في الأخبار الغيبية التّوقّف عند حدود الخبر، وعدم إجرائه على المعتاد في عالم الشهادة، لكن يحتمل نظم الآية: ﴿وَجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ﴾ أن يكون "المراد بوجوههم كلّ ما أقبل منهم، وبأدبارهم كلّ ما أدبر من أجسامهم"⁽²⁾، وعليه فيكون توجيه ذلك أنّهم يُضربون على أكرم الأبدان، وهي الوجوه، وعلى أشدّ الأعضاء إهانة، وهي الأدبار؛ وذلك لإهانتهم من أعظم الجهتين، كما أنّ "وجوههم التي وقوها من الضرب حين فرّوا من الجهاد، فإنّ الوجوه ممّا يُقصد بالضرب بالسيف عند القتال، ويضربون أدبارهم التي كانت محلّ الضرب لو قاتلوا، وهذا تعريض بأنهم لو قاتلوا؛ لفرّوا فلا يقع الضرب إلّا في أدبارهم"⁽³⁾.

(1) الألويسي، روح المعاني: 230 / 13.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 242 / 13.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 118 / 26، بتصرف.

فراز المنافقين من
القتال الكريم
أوقعهم في
ضرب الملائكة
للّهين

الوجوه والأدبار
أشدّ الأعضاء
حساسية عند
الإنسان

بلادة الكناية ودلالاتها:

الوجه مجمع المحاسن، وموضع التكريم، فضربه إذلالٌ وتحقير، وضرب الأدبار إهانة وتهوين، وبذلك يُجمع على الكافرين نوعا العذاب الحسي والروحي - إلى ما في ذكرهما من عموم الجهات - ففى تخصيصهما بالضرب كناية عن كمال إهانتهم إهانة مزرية، قد تجدي في ردع من يتلقى هذا البيان الوافي عن الكفر والنفاق قبل حلول ذلك به.

ضرب الوجوه
إذلال، وضرب
الأدبار إهانة

علة فصل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا﴾ عما قبله:

فصل قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ﴾ عما قبله؛ لما بينهما من كمال الاتصال، فالثانية بيان لسبب الأولى، وأنهم إنما عوقبوا بضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وأنه إنما عجل لهم هذا العذاب عند الموت؛ بسبب اتباعهم ما أسخط الله تعالى وكراهتهم رضوانه، وبغضهم دين التوحيد الذي يرضاه عباده، فالآية فيها معنى التعليل.

من صد عن
سبيل الله؛
ختم له بسوء
الخاتمة

دلالة استعمال اسم الإشارة:

في إثارة المسند إليه اسم إشارة مع لام البعد: ﴿ذَلِكَ﴾؛ يوحي بخطورة المشار إليه، وهو ضرب الوجوه والأدبار، وتدل على بعده خطورة وبشاعة وفظاعة، وذلك يسهم في ترهيب من كان له قلب.

ضرب الملائكة
المنافقين مشهد
بعيد في آلامه
ومآلاته

نوع الباء ودلالاتها:

(الباء) في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ﴾ للسببية، أي: تتوفاهم الملائكة ضارين وجوههم وأدبارهم؛ بسبب اتباعهم ما أسخط الله تعالى وكراهيتهم رضوانه.

معنى (أن) ودلالاتها:

(أن) في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ﴾ تؤكدية، تقر خطورة ذلك السبب، وأنه بحيث يؤهل صاحبه إلى تلقي الضرب والإهانة عند الموت.

دلالة صوغ فعل الاتباع ماضيًا:

النافقون لا
يزالون يتبعون
ما يسخط الله
تعالى على
امتداد الزمان

صوغ فعل الاتباع ماضيًا في جملة الخبر: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ﴾ يدلُّ على ترسُّخ ذلك فيهم عقيدة وسلوكًا؛ ذلك أنَّهم ﴿اتَّبِعُوا﴾، ولا يزالون يتبعون إلى وقت نزول الآية الكريمة، وسيُتَّبَعه كلُّ منافق على امتداد الزَّمان واتِّساع المكان، على أنَّه "لا أحد يقصد قصد اتِّباع ما أسخط الله، ولا كراهة رضوانه، لكنَّهم لما اتَّبَعُوا الفعل الذي كان الله يُسْخِطُ ذلك الفعل، فكأنَّهم اتَّبَعُوا سخطه، وكذلك إذا تركوا اتِّباع ما كان الله يرضاه، وكرهوه، فكأنَّهم كرهوا رضوانه، وهو كقوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: 60].

ولا أحد يقصد قصد عبادة الشَّيطان، لكنَّهم لما اتَّبَعُوهُ فيما يأمرهم، ويدعوهم إليه؛ فكأنَّهم عبدوه، وهو تسمية الشَّيء باسم سببه، واللُّغة غير ممتنعة عن تسمية الشَّيء باسم سببه⁽¹⁾.

بلاغة الاستعارة في تركيب ﴿مَا أَسْخَطَ اللَّهُ﴾:

تصوير حرص
النافقين على
ما يسخط الله
تعالى

قوله تعالى: ﴿مَا أَسْخَطَ اللَّهُ﴾ فيه استعارة؛ إذ شبَّه النظم الكريم ﴿مَا أَسْخَطَ اللَّهُ﴾ بشخصٍ يتَّبَع، وحُذِفَ المُشَبَّه به، وذُكِرَ المُشَبَّه، ورُمِزَ له بكونه متَّبَعًا، على سبيل الاستعارة المكنية، وفائدة الاستعارة تشخيص حالة الاتِّباع وتصويرها؛ لبيان حقارة فعلهم في الحرص على ما يسخط الله تعالى، فإنَّ شأنَ المتَّبَع الحرص على اتِّباع محبوبه.

علة التَّعبير بالموصول ﴿مَا﴾:

اتِّساع دلالة
الموصول أبرُّ
وأوفى بمقتضيات
السياقات الفعمية

﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ﴾ موصولة، أي: اتَّبِعُوا الَّذِي أسخط الله تعالى، والتزموه، وآثروه على ما يحبه الله تعالى، وفي إثارة هذا المفعول موصولًا توسيع لَلْفِظِ يسير ﴿مَا﴾؛ ليشمل

(1) للتريدي، تأويلات أهل السنة: 281/9.

جميع ما أسخطه ﷺ، ولا تطبيق العبارة هنا تعديده باسمه الصريح، فكان الموصول أبر بالسياق، وأعمّ للأنواع وأجمع للتفاصيل.

و﴿مَا أَسْخَطَ اللَّهُ﴾ تعالى كثير، مثل الكفر بالله تعالى، وموالة أعدائه، ومناواة أوليائه، وكتمان نعمة رسول الله ﷺ وكتمان اليهود التّوراة - وأغلب المنافقين يهود - ومعاونة الكافرين⁽¹⁾، وكراهة الجهاد الذي كان الفاضح لنفاقهم، وغير ذلك كثير ممّا بيّنه الدين.

دلالة التعبير بمفردة الإسقاط:

التّعبير بمفردة (الإسقاط) في جملة: ﴿أَسْخَطَ اللَّهُ﴾ يدلُّ على فظاعة الجرم الذي ارتكبه هؤلاء المنافقون؛ إذ مادّة السُّخط تُستعمل فيما يكون من الكبير على الصّغير ولا يُعكّس، بخلاف الغضب، فيكون من كليهما على كليهما⁽²⁾، ولا شك أنّ سخط الأكبر سبحانه يكون أعظم؛ فلا يُقام له، ولأنّ الخالق العظيم ﷻ لا يجري عليه ما يجري على المخلوقين من إحساس السُّخط، ف"السُّخط مستعارٌ لعدم الرضا بالفعل، وكرهتهم رضوان الله تعالى كراهتهم أسباب رضوانه، وهو الإسلام"⁽³⁾.

لطيفة التّعبير بالاسم الجليل:

في إثثار مفعول السُّخط اسمَ الجلالة تهويل وتخويف؛ لأنّ الاسم الجليل يشتمل على معاني الجلال والرّهبة، فله ﷻ مهابةٌ تحول دون الميل إلى ما يسخطه، فما الظنُّ بمصير من يتّبع ما يسخطه؟ ففيه تعريضٌ بسوء صنيعهم، وقبح أفعالهم، فهم إنّما يحرصون على العذاب كحرص المؤمنين على النّجاة.

السُّخط
يُستعمل فيما
يكون من الكبير
على الصّغير ولا
يُعكّس

مهابةُ الجليل
سبحانه تمنع
من إغضابه،
وتدعو إلى
رضوانه

(1) الواحدي، التفسير الوسيط: 4/ 128، والزمخشري، الكشاف: 4/ 327، والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل: 3/ 329، والبقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 18/ 250.

(2) النشر الإسلامي، الفروق اللغوية الحاوي لكتابي العسكري والجزائري، ص: 386.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 119.

نوع الواو ودلالاتها في قوله: ﴿وَكْرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾:

المنافقون
يجمعون بين
جريمتي اتباع
ما يسخط الله
تعالى وكراهة ما
يرضيه

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَكْرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ عاطفة، تجمع على هؤلاء المنافقين المرتدين واليهود جريمتين في قرن واحد: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾، ﴿وَكْرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾، فهم لم يكتفوا باتباع ما يسخطه الله تعالى، حتى رَسَخُوا في أنفسهم كَرَهُ ما يرضيه سبحانه. و"لما كان فعل ما يُسَخِّطُ قد يكون مع الغفلة عن أنه يُسَخِّطُ؛ بيَّن أنهم ليسوا كذلك، فقال تعالى: ﴿وَكْرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾" (1)، أي: عمدوا إلى ذلك عمداً.

بلاغة ازدواج فنّ الطَّباق:

التضاد بين
السُّخْطِ
والرِّضْوَانِ
والإِتِّبَاعِ
والكراهية

جمع السياق في الآية بين مفردتي الإسخاط والكُره، والأوّل لله تعالى، والثاني للمنافقين، وسبق أنّ الإسخاط يكون من الكبير على الصغير، وأنّ الكره يكون من هذا على ذلك، ومن ذلك على هذا، وعليه فقد وزّعها النظم الكريم توزيعاً دقيقاً، فأسند الكره إليهم في جملة: ﴿وَكْرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾، وفي ذكر اتباع ما أسخط الله وكراهة رضوانه مُحَسِّنُ الطَّباقِ مَرَّتَيْنِ للمضادّة بين السُّخْطِ والرِّضْوَانِ، والاتباع والكراهية (2).

دلالة المضيّ في الفعل ﴿وَكْرِهُوا﴾:

كُرهُ المنافقين ما
يرضيه الله تعالى
مُتَغَلِّغِلٌ في
قلوبهم

تدلُّ صيغة الماضي في الفعل ﴿وَكْرِهُوا﴾ على تحقق تغلُّل كُرههم رضوانه ﷻ في سويداء قلوبهم، ورسوخه والقطع به بما لا يؤمِّل معه توبُّهم، فقضي لهم بالموت على حالة ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم.

دلالة الإضافة في لفظ ﴿رِضْوَانَهُ﴾:

من فاته رضوان
الله تعالى؛ فاته
الخير، ولجّقه
الشَّقَاءُ

إضافة لفظ (رضوان) إلى ضمير العظمة في قوله سبحانه: ﴿وَكْرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾ يزيد جريمتهم جرماً، ويوجب لهم مع الوعيد

(1) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 250 / 18.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 119 / 26.

وعيداً؛ لأنهم كرهوا رضوان مالك الملك، جبار السماوات والأرض، فمن فاته رضوان الله تعالى؛ فاته الخير كله، ولحقه الشقاء والشر، والإضافة بمعنى (من)، أي: رضوان من الله، وهو الإسلام.

نوع الفاء ودلالاتها في قوله: ﴿فَأَحْبَطَ﴾:

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ تفريعية، تُقرع إحباط أعمالهم على اتباعهم ما يسخطه ﷻ وكُرههم ما يرضيه، "فكان اتباعهم ما أسخط الله، وكراحتهم رضوانه سبباً في الأمرين: ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند الوفاة، وإحباط أعمالهم"⁽¹⁾. وفي ذلك التفريع تقرير لمصير من يتبع الكفر والنفاق، وما يُسخط الله ﷻ، وإذا أحبطت أعمالهم؛ فما بقي لهم إلا النار، وبئس المصير.

بلاغة الكناية في استعمال مفردة (أحبط):

الحبط: إبطال العمل، والعمل لا يُبطل، وإنما تُبطل ثمرته، فالله ﷻ قد أهدر "ثواب أعمالهم وأذهبه"⁽²⁾، فهؤلاء أبطل انتفاعهم بأعمالهم، التي عملوها مع المؤمنين من قول كلمة التوحيد، ومن الصلاة والزكاة، وغير ذلك⁽³⁾ من الأعمال الصالحة، واستعملت هذه المفردة لتشبيهه حبط أعمال المنافقين بحبط الدابة، فإن الدابة إذا أكلت فوق طاقتها؛ أحبطت الأكل النافع فذهبت فائدته، وانقلب إلى ضرر قاتل⁽⁴⁾، وكذلك المنافق لما أتى الأعمال الباطلة؛ أحبط الأعمال الصالحة، وهذا الاستعمال كناية عن الوعيد يوم القيامة، فمن حبط عمله؛ فقد حاز الخسران المبين.

إحباط الأعمال
فرغ أصل
كراهية رضوان
الله

الحبط إفساد
للعمل الصالح
ووعيد بالعذاب
اللاحق

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 119 / 26.

(2) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 221 / 21.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 120 / 26.

(4) حبط الشاة حبطاً: انتفخ بطنها عن أكل الذرق، وفي الحديث: «إن مما يُنبِت الرِّبْعُ ما يقتل حبطاً أو يُلْمُ»، وذلك الذاء الحباط، وحبط عمله حبطاً وحُطوطاً: فسد، والله أحبطه، وفي التنزيل: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾، أي: أفسدها، وأبطل أجزءها، ينظر: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (حبط).

وعيد الله ﷻ
نافذ لا محالة

مهما كثرت
أعمال المنافقين؛
فهي إلى محق
ساحق

لا يفيد مع
النفاق أي عمل
من الأعمال

دلالة المضي في الفعل ﴿فَأَحْبَطَ﴾:

جاء الفعل ﴿فَأَحْبَطَ﴾ ماضياً، والإحباط سيكون يوم القيامة؛ للدلالة على تحقق الإحباط يوم القيامة؛ وذلك لأنَّ وعيد الله ﷻ نافذ لا محالة، كما أنَّ وعده سبحانه نافذ لا محالة، فإذا قضى أمراً؛ فإنما يقول له كن فيكون؛ لذلك جاء الفعل ﴿فَأَحْبَطَ﴾ ماضياً.

لطيفة جمع لفظ ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾:

جاء لفظ ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ جمعاً؛ لبيان أنَّ أعمالهم الصالحة مهما تنوعت، وكثرت؛ فلن تنفعهم بشيء؛ ذلك لأنَّها قد رُميت بسهام النفاق، فقتلتها، فلم تثبت في حياة أصحابها، وفي الجمع دلالة على دخول أعمال الجوارح والأعضاء كلها، مثل عمل اللسان من النصح والتوجيه، وصدق القول، وما إلى ذلك، فكلُّه هدرٌ لا قيمة له.

دلالة إضافة لفظ العمل إلى الضمير:

إضافة الأعمال إلى ضمير المنافقين واليهود في جملة: ﴿فَأَحْبَطَ﴾ **﴿أَعْمَلَهُمْ﴾** بمعنى اللام، فهي أعمال لهم ابتداءً، وهذه الإضافة تزيدهم ألماً؛ لأنَّهم قد عملوها، وكان الأصل أن تكون منفعتها لهم، وفي هذا تحسير، وتحذير ممَّا يكون على منوالها، وهي "الأعمال التي صورتها صورة الطاعة من صلاة وزكاة وصيام، أو ما كانوا قد عملوا من الخير قبل الردة⁽¹⁾، ف"الله ﷻ لم يقبل منهم عملاً، حتَّى ولو كان ممَّا يحسب في الأعمال الصالحة للمؤمنين؛ لأنَّهم غير مؤمنين بالله، والإيمان بالله شرط أوَّل في قبول العمل"⁽²⁾.

❁ الفرق المغمية:

السخط والغضب:

الغضب يكون من الصغير على الكبير، ومن الكبير على الصغير،

(1) الشوكاني، فتح القدير: 47/5.

(2) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 13/364.

والسُّخْط لا يكون إلا من الكبير على الصَّغير، يقال: سخط الأمير على الحاجب، ولا يقال: سخط الحاجب على الأمير، ويُستعمل الغضب فيهما، والسُّخْط إذا عدَّيته بنفسه؛ فهو خلاف الرُّضا، يقال: رضيه، وسخطه، وإذا عدَّيته ب (على)؛ فهو بمعنى الغضب، تقول: سخط الله عليه؛ إذا أراد عقابه⁽¹⁾، والغضب لا يستلزم العقاب ضرورة، بخلاف السُّخْط، فيلزم عنه العقاب.

السُّخْط يصدر
عن الأعلى،
ويستلزم
العقاب، بخلاف
الغضب؛ فهو
أعمُّ

(1) النشر الإسلامي، الفروق اللغوية الحاوي لكتابي العسكري والجزائري، ص: 386.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م.ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية : E

"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"